مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٢) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (2) 2026

أدوار الشخصية في الحكي في نماذج من أعمال "حسن صقر" القصصية

أ.د. لطفية برهم*

د. فيروز عباس**

نور نديم عمران***

(تاريخ الإيداع ١١/٥ /٢٠٢٥. قُبِل للنشر في ١/٢٧ /٢٠٢٦)

□ ملخّص □

يهدف هذا البحث إلى دراسة أدوار الشخصية في الحكي ضمن أعمال "حسن صقر" القصصية، من خلال التركيز على أربعة أبعاد رئيسة تتجلى في نصوصه: العنصر التكميلي، والمتكلم بالنيابة، والمنفعل بالحدث، وفاعل الحدث. يكشفُ البحثُ كيف تظهر الشخصية أحياناً بوصفها عنصراً مكملاً يعمّق البنية الدرامية، وأحياناً بوصفها متكلماً ينقل الأحداث من منظور الآخرين، أو منفعلاً يعكس أصداء التجربة النفسية، أو فاعلاً محورياً يحرّك الأحداث ويعيد تشكيلها. وقد تمّ اختيار هذا الموضوع لكونه يمثل فرصة لفهم دينامية السرد العربي المعاصر، وسدّ الفجوة البحثية المتعلقة بتصنيف الأدوار السردية للشخصية في نصوص "حسن صقر". ويسعى البحث إلى تحليل آليات توظيف هذه الأدوار، ورصد علاقتها بالبنية السردية وتقنيات الحكي، بما يكشف إسهامها في تعميق الدلالة الفنية والبعد الإنساني للنصوص. ويعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستفيداً من الدراسات السابقة في النقد السردي، لتقديم قراءة نقدية منهجية متخصّصة تسلط الضوء على أبعاد الشخصية في أعمال "حسن صقر" القصصية.

الكلمات المفتاحية: الشخصية، الحكي، الأدوار السردية، حسن صقر، النقد السردي، البنية السردية.

*أستاذ. قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية.

** أستاذ مساعد. قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية.

***طالبة دراسات عليا (دكتوراه). قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٢) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (2) 2026

A Critical Analysis of Character Roles in Storytelling in " Selected Works short stories by Hassan Saqr

*** Dr. Lutfia Barham**
****Dr. Fairuz Abbas**
*****Nour Nadeem 0mran**

(Received 5/11 /2025. 27 /1/2026)

□ ABSTRACT□

This paper explores the roles of character in Hassan Saqr's short stories, focusing on four major dimensions: the complementary element, the surrogate speaker, the event-reactive figure, and the event-driving agent. The analysis shows how characters may function as secondary elements that enrich dramatic depth, as voices narrating events from alternative perspectives, as figures reflecting psychological resonance, or as central agents actively shaping the narrative. The study highlights how these roles illuminate the dynamics of contemporary Arabic storytelling and address a research gap in classifying character functions in Saqr's works. By examining the interplay between character roles, narrative structure, and storytelling techniques, the research underscores their contribution to artistic significance and the human dimension of the text. Employing a descriptive-analytical method and informed by previous narrative criticism, the study offers a systematic critical reading of character roles in Saqr's narratives.

Keywords: character, storytelling, narrative roles, Hassan Saqr, narrative criticism, narrative structure.

*Professor - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Humanities - Lattakia University
Assistant Professor - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Humanities - Lattakia
**University
***Postgraduate Student (PhD) - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Humanities - Lattakia University

سبب اختيار البحث

اختار البحث دراسة أدوار الشخصية في الحكي في أعمال "حسن صقر" القصصية، لما تمثّله من مجال خصب لفهم دينامية السرد العربي المعاصر؛ إذ تكشف تعددية أدوار الشخصية (عنصر تكميلي، المتكلم بالنيابة، المنفعل بالحدث، فاعل الحدث) عن وعي القاصّ بتقنيات الحكي وقدرته على توظيفها لإبراز العمق النفسي والاجتماعي في نصوصه. كما أن قلة الدراسات المتخصصة في هذا الجانب تمنح البحث قيمة علمية مضافة وتفتح أفقاً جديداً لمقاربة النص القصصي.

أهمية البحث

تتجلّى أهمية هذا البحث في أنّه يسلّط الضوء على جانب سردي لم يُفرد غالباً بالدراسة في أعمال "حسن صقر"، وهو تنوّع الأدوار التي تنهض بها الشخصية في النصوص القصصية. ومن خلال تحليل هذه الأدوار المتباينة، يبرز البحث كيف يسهم هذا التنوع في إثراء البناء الحكائي وتكثيف البعد الدرامي للأحداث، فضلاً عن إعادة تشكيل العلاقة بين الراوي والشخصية والقارئ. كما تكمن أهميته في إبراز فرادة التجربة القصصية عند "حسن صقر"، بما تتسم به من تجريب وتداخل بين الذاتي والموضوعي في الحكي، الأمر الذي يفتح أفقاً جديداً لفهم تقنيات السرد في الأدب العربي المعاصر، ويوفّر مقاربة يمكن الإفادة منها في دراسة نصوص قصصية أخرى.

أهداف البحث

١. الوقوف على تجليات أدوار الشخصية في الحكي ضمن قصص "حسن صقر"، بوصفها: عنصراً تكميلياً، متكلماً بالنيابة، منفعلاً بالحدث، وفاعلاً للحدث.

٢. تحليل آليات توظيف هذه الأدوار وعلاقتها بالبناء السردي وتقنيات الحكي.

٣. الكشف عن إسهامها في تعميق الدلالة الفنية والبعد الإنساني للنصوص.

٤. الإسهام في إثراء الدراسات النقدية حول بنية الشخصية في السرد العربي المعاصر، عبر تقديم قراءة منهجية متخصّصة لأعمال "حسن صقر" القصصية.

الدراسات السابقة

تناولت الدراسات النقدية والبحثية مفهوم الشخصية في السرد العربي من زوايا متعدّدة، إذ ركزت بعض البحوث النظرية – مثل دراسة بوعافية أحمد «بنية الشخصية في السرد من منظور النقد المعاصر» – على الإطار المفاهيمي للشخصية بوصفها محور البناء الحكائي، مبيّنة كيف تتنوع وظائفها بين التحريك الدرامي وإضفاء العمق الدلالي. وفي الاتجاه نفسه، قدّمت دراسات تطبيقية، مثل بحث إسلام رضوان حول تقنيات السرد في أعمال غادة السمان، قراءات توضّح أثر المنظور السردي وآليات الحكي في تشكيل أدوار الشخصية وتطوّر الأحداث، ما يهيئ أرضية صالحة لمقاربة مماثلة عند "حسن صقر".

أما ما يتعلق مباشرة بأدب "حسن صقر"، فقد اقتصرت المواد المنشورة على مقالات نقدية ومراجعات صحفية ودراسات تحليلية جزئية، أبرزها دراسة تحليلية لبعض مجموعاته القصصية المتوافرة في صيغة PDF، التي اهتمّت برصد سمات السرد وبنية الشخصية واللغة التهكمية، لكنها لم تفصل في تصنيف أدوار الشخصية وفق منظومة منهجية. كما تتوافر مقالات تعريفية وحوارات صحفية أضاءت على تجربته الفنية، وعلى موضوعاته المركزية مثل الاغتراب، وتداخل الواقعي بالمتخيل، من دون أن تتناول بالتحليل المنهجي كيفية توزيع الأدوار السردية للشخصية.

تُبرز هذه المراجعة أن هناك فراغاً بحثياً واضحاً في دراسة أدوار الشخصية في الحكي في أعمال "حسن صقر" القصصية؛ إذ إن شخصياته حظيت بقراءات عامة من زاوية حضورها أو لغتها، إلا أن تصنيفها بوصفها عنصراً تكميلياً، أو متكلماً بالنيابة، أو منفعلاً بالحدث، أو فاعلاً للحدث، لم يُعالج في دراسة مستقلة. ومن ثمّ، يسعى هذا البحث إلى سدّ هذه الفجوة، عبر توظيف المنهج الوصفي التحليلي، وتقنيات النقد السردي، للكشف عن فاعلية تلك الأدوار في تشكيل البنية الفنية، والدلالية لنصوصه القصصية.

ـ منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مع توظيف آليات النقد السردي؛ إذ يقوم أولاً بجمع المتن القصصي لـ "حسن صقر" وتحديد النماذج الأكثر تمثيلاً لأدوار الشخصية في الحكي، ثم تحليلها وفق محاور الدراسة (العنصر التكميلي، المتكلم بالنيابة، المنفعل بالحدث، فاعل الحدث). ويعتمد البحث على المقارنة بين النصوص، واستجلاء تقنيات السرد وبنية الشخصية، وصولاً إلى استنتاجات تكشف عن فاعلية هذه الأدوار في تشكيل البنية السردية والدلالة الفنية.

المناقشة

ـالشخصية لغةً

الشخصية مكونٌ مهم من مكونات المتن والمبنى الحكائيين، يمنح النص القصصي المصداقية، فما مفهومها لغةً؟

تعددت معاني (شَخَصَ) في المعاجم، منها: "الشخص: جماعة شخص الإنسان وغيره من مذكر ومؤنث، والجمع أشخاص وشخوص وشِخاص، والشخص: كل شيء رأيت جثمانه فقد رأيت شخصه، الشخصُ: كل جسمٍ له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص"[1]. وجاءت مادة (شَخَصَ) أيضاً بمعنى "فتح عينيه وجعل لا يطرف، وبصره رفعه، ومن بلدٍ إلى بلد ذهب وسار في ارتفاع[...] والمتشاخص: المختلف والمتفاوت"[2]، ونجد المعنى ذاته في المعاجم الأخرى نحو "شخص الشيء يشخصُ شخوصاً: ارتفع، وشخص بصره فتح عينيه وجعل يطرف"[3] ، وقد حُدد مفهوم الشخصية لغوياً بأنها: "الصفات التي تميّز بها الشخص من غيره، يُقال: فلان لا شخصية له، أي ليس له ما يميّزه من صفات خاصة"[4]. فالشخصية لغةً ما يُرى بالعين من الإنسان والارتفاع، ثم تطورت، لتصبح ما يتصف به الإنسان من صفات تميزه من غيره.

ـ الشخصية: المفهوم والمصطلح

الشخصية عنصر بنائي من عناصر البناء القصصي، وهي برؤية "بول ريكور" مدركة، وليست وحدة مفصولة عن تجاربها، تشارك نظام الهوية الديناميكي للحكاية المحكية من خلال تجاربها وأفعالها وتحولاتها

[1] _ لسان العرب. الإمام العلامة ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م. ج١، مادة(شَخَصَ).

[2] _ القاموس المحيط. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، تحقيق: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ج١، ط٨، ٢٠٠٥م، ج١، مادة(شَخَصَ).

[3] _ محيط المحيط. بطرس البستاني، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٥٨م، ص٤٥٥.

[4] _ المعجم الوسيط. إبراهيم أنيس، مطبعة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٧٢م، مادة(شَخَصَ).

داخل القصّة، فيؤلف النّص هوية الشخصية التي نسميها هويّة سرديّة[١]، فالهوية السردية لا تبنى من خارج الحكاية بل تتشكّل بمرور الأحداث وبما تواجهه الشخصية من صراعات وتغيرات.

إن كل حدث يضيف بعداً جديداً لهويتها، فتصبح الهوية الشخصية مرتبطة بالزمن السردي (الماضي، الحاضر، المستقبل الممكن)، وبهذا تشارك الشخصية في عملية تأليف الحكاية نفسها لأن هويتها لا تنفصل عن هوية النص، بل تنمو معه وتتغير تبعاً لتطور السرد. وهي في رؤية "يمنى العيد" تركيبٌ أبدعته مخيلة المبدع، وجسّدته اللغة، إنها وحدةٌ دلالية كأيّ علامة لغوية[٢]، لها مدلولها في ذهن القارئ.

فالشخصية نظام ينشئه النص تدريجياً، لكنها لا تعدم في بداية ظهورها هوية عامة. فهي في البداية، شكلٌ أو بنية عامة، وكلما أضيف إليها خصائص أضحت معقدة غنية مرغبة من دون أن تفقد هويتها الأصلية[٣]، وهي كائنٌ له سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية ممثلactor له صفات إنسانية، ويمكن أن تكون الشخصيات رئيسة أو ثانوية طبقاً لدرجة بروزها في النّص، وحركية عندما يطرأ عليها التبدل، أو إستاتيكية (ساكنة عندما لا تكون قابلة للتغيير)، مُنّسقة، مسطحة **flat** أو مستديرة **round**[٤]، وأياً كان نوع الشخصية فهي مَن تعطي القصّة موضوعيتها، وفقاً لمستوى واقعية تلك القصّة التي تنتج من سلوكات الشخصية وأحداثها ورؤاها، فكل شخصية مهما كانت تبث الحياة والحركة في القصّة، حتى لو كانت قصّتها تتمحور حول السكون والموت.

ـ أدوار الشخصية في الحكي

تشكل الشخصية محور الحركة في القصّة، وهي بأقوالها، وأفعالها، وطرائق تفكيرها، تقود القصّة كلها، فهي وسيلة القاص لتجسيد رؤيته، والتعبير عن إحساسه بواقعه، يحاول بوساطة شخصياته الكشف عن خبايا النفس الإنسانية وعلاقاتها بذاتها وبالعالم، وعن القوى التي تحرك الواقع من حوله، وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها. فالشخصية من المقومات الرئيسة للقصّة، ومن دون الشخصية لا وجود للقصّة.

إن القاصّ لا يسوق أفكاره العامة منفصلة عن محيطها الحيوي، بل تكون ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في المجتمع، وإلا فقدت بذلك أثرها الاجتماعي وقيمتها الفنية معاً، فلا مناص من أن تحيا الأفكار في الشخصيات، وسط مجموعة من القيم الإنسانية يظهر فيها الوعي الفردي متفاعلاً مع الوعي العام، في مظهر من مظاهر التفاعل، حسب ما يهدف إليه القاص، في نظرته إلى هذه القيم، وفي أغراضه الإنسانية.

وتتعدد أدوار الشخصية القصصية في الحكي بتعدد الأهواء، والمذاهب، والإيديولوجيات، والثقافات، والحضارات، والهواجس التي ليس لتنوعها واختلافها من حدود؛ إذ يُحضّر القاصّ الشخصية لإنجاز الحدث، فتخضع بذلك لتقنيات إجراءاته، وتصوراته، وفلسفته في الحياة. فما أدوار الشخصية في الحكي؟ وكيف تجلى ذلك في أعمال "حسن صقر" القصصية؟

-أدوار الشخصية في الحكي

تؤدي الشخصية في الحكي وظائف متنوعة في العالم الخيالي الذي يخلقه المؤلف، وبما أن القصّة تركز على الإنسان وقضاياه فمن الطبيعي أن تكون شخصياتها محور المعاني الإنسانية، ومدار الأفكار العامة للسرد القصصي؛

---

[١] _ ينظر: الهوية والسرد. بول ريكور، تر: حاتم الورفلي، دار التنوير، تونس، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٦٦.

[٢] _ينظر: الرواية العربية (المتخيل وبنيته الفنية). يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م، ص٤٤.

[٣] _ ينظر: معجم السرديات. مجموعة مؤلفين، إشراف محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، مصر، ط١، ٢٠١٠م.

[٤] _ينظر: _ قاموس السرديات. جيرالد برنس، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، مصر، ط١، ٢٠٠٣م، ص٣٠.

إذ يمهد سلوك الشخصيات لوقوع الأحداث وتطورها؛ لذا سننطلق في دراسة أدوار الشخصية في الحكي في أعمال "حسن صقر" القصصية، من تسلسل أدوار الشخصية على الشكل الآتي[١]:

١_ الدور تكميلي.

٢_ المتكلم بالنيابة.

٣_ المنفعل بالحدث.

٤_ فاعل الحدث.

١-الدور التكميلي

تؤدي الشخصيّة دورَها التكميلي عندما تضيف عمقاً بيئياً رمزياً إلى النص، من دون أن تتحكم في حركة الحبكة، ولا يُعدّ هذا العنصر فاعلاً في السرد، ولكنه يسهم في تحديد فاعل آخر أو تمييزه[٢].

تضيف الشخصية التكميلية دوراً ذا أهمية كبرى إلى الحدث المركزي الذي تنهض على أساسه القصّة، بل يُسند إليها دور بسيط تذويقي؛ إذ لا يشكل غيابها ثغرة في مسار السرد إذا استغني عن دورها؛ ولذلك يكون تواترها في سياق الحكي محدوداً، ويكون حضورها هامشياً في منظومة الحكي. والشخصية القائمة بهذه الوظيفة هي التي يمكن أن تضيف نوعاً من الطابع المحلي العام الذي تتميز به إلى البيئة التي تنتمي إليها، وتعيش في وسطها، فالسارد في قصّة (الحنين إلى التشرد)، أسند هذا الدور الى "هدى" أخت البطل؛ إذ نجده يتحدث عنها قائلاً:

"بعد سفر متعب وتصادم بيني وبين الأغراض وصلنا إلى بيت أختي هدى وهي امرأة شديدة الطيبة لديها نصف دستة من الأولاد وزوجها موظف بسيط في السجل المدني، استقبلتنا أختي بترحاب وبدموع سخية؛ إذ كيف تعرّض أهلها لهذه البهدلة فاقتلعوا خ بيتهم وصاروا مشردين على وجوه الناس. أرادت أختي أن تجري استجواباً دقيقاً كي تعرف كيف حصل الأمر وكان صراخ الأطفال وعويلهم يعلو صوتها"[٣].

إن المناخ العام الذي عاش وترعرع فيه البطل هو هذه البيئة الفقيرة التي عبرت عنها شخصية "هدى" في القصّة، فدورها بسيط ليس ذا أهمية أساسية بالنسبة إلى الحدث الأساسي في حياة البطل، ولكنها استطاعت بدورها التكميلي أن تبين البيئة والمناخ العام الذي يعيش فيه البطل.

يمثل الدور التكميلي عتبة الولوج في البنية الخاصة للشخصية، ففي المشهد الذي يترجّح بين التفريغ والتشوف والرؤى، نجد أبعاد الشخصية تتلاحم مع ما يراه الراوي، ولا سيما عندما نجد أن محاوله إكمال ملامح الشخصية وتجربتها من أهم ما ينطوي عليه دور البناء السردي لبلورة الأحداث المسرودة، وهذا ما نجده في شخصية المرأة العجوز في قصّة (الضيف البحري) من مجموعة (عودة الرجل الغريب)؛ إذ يقول الراوي:

"عندما دخلت البيت العربي المكشوف بفسحته الواسعة رأيت المرأة العجوز تجلس بمفردها تحت شجرة الياسمين المزهرة والوارفة الظلال وأمامها طبق من النحاس وضعت فيه بعض حبات البطاطا المكسورة وهي تستعد الآن على ما يبدو لفرمها من أجل تحضير وجبة الغداء وكانت أحواض الزهور الصغيرة منها والكبيرة

[١] _ينظر: عالم الرواية. رولان بورنوف ورويال أونيليه، تر: نهاد التكرلي، مراجعة: فؤاد التكرلي، و د. محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩١م، ص ١٧٦.

[٢] _ينظر: معجم السرديات. جيرالد برنس، ص٩١_ص٩٢.

[٣] _ مستعمرة الشتاء. حسن صقر، قصص، دار فواصل للطباعة والنشر، اللاذقية، سوريا، ط١، ٢٠٢٢م، ص١٨٠.

والموزعة بتناسق بديع تضفي على المكان جاذبية من نوع خاص، أما المرأة فقد تقدم بها العمر مما جعل التفاهم معها على درجة من الصعوبة بسبب ضعف في السمع ولذلك فقد كانت تحب الكلام أكثر من الاستماع"[١].

هذه المرأة العجوز لم يكن لها دور رئيس أو مؤثر في أحداث القصّة، ولكنها وصفت البيئة المحلية، أو الجوّ المحليّ الخاصّ المحيط بإحدى الشخصيات الرئيسة في القصّة، وكان لها دور في سرد شيء من مسيره حياة هذا البطل، يقول الراوي:

"تحدثت للمرأة العجوز بإسهاب كافٍ عن "فاضل" الذي تحبه أكثر من نور عينيها لأنه ابنها وأخوها وحبيبها وكل شيء في حياتها وقد تعرفت به نتيجة صدفة عجيبة عندما حماها من أحد اللصوص وكان ذلك منذ أكثر من سنة وهو يسكن عندها ولا تريده أن يغادر أبداً واستدركت العجوز قائلة بأنه هو لا يريد ذلك وقد فهمت منها أن فاضلاً جاء من البحر وقد عمل فيه مدة عشر سنوات ميكانيكياً على أحد* البواخر وقد فقد قدمه إثر حادث أليم أما أهم شيء تجده في شخصية "فاضل"، فهو يدمر نفسه بالشراب لأنه أخفق في حبه لفتاة تستطيع أن تجلس على عرش الملائكة بسبب جمالها"[٢].

إذاً، المرأة العجوز لا تملك أية دلالة خاصة، وهذه الشخصية على الرغم من أنها عديمة الفائدة، ولا وجود لها على المستوى الفني، فإنها تحتفظ بوظيفة التزويق أو التكميل المهمة، لأنها أتاحت للقاصّ رسم لوحة متكاملة، قدم فيها فكرته عن البيئة المحلية للعمل.

٢_المتكلم بالنيابة

المتكلم بالنيابة شخصية تعبّر عن موقف شخصية أخرى، أو المؤلف الضمني داخل السرد، وتُعدّ قناة لخطاب خارجي في الحكاية[٣]، وعندما نتحدث عن الشخصية المتكلمة بالنيابة عن مؤلفها، لابد أن نتجاوز إعادة التكوين الذي له طابع الحكاية لترجمة حياة المؤلف، وأن نتخطى اكتشاف المصادر الأدبية التاريخية، والتحليل السطحي للأفكار، لبلوغ مستويات في التعبير لا تكون مرئية أول وهلة. فالشخصية، كما سبق وذكرنا، وسيلة المؤلف في توضيح أفكاره، وإيصال رؤيته للواقع إلى ذهن القارئ؛ لأنه لا يقدم أفكاره معزولة عن محيطها الإنساني؛ لذا قد يسند إلى إحدى شخصياته دور التكلم بالنيابة عنه، محملاً إياها جوهر حكايته، ليبلورها أمام القارئ، ويقنعه بقبولها، لكن لابد لهذه الشخصية من أن تتمتع بسمات عالية تمكنها من إنجاز الوظيفة المسندة إليها، كما في شخصية مدام "سوفروني" من قصّة (مدام سوفروني).

"مدام سوفروني" هي سيدة بارزة من سيدات المجتمع الأمريكي تتفاجأ في أثناء سياحتها في "تركيا" بتمثال نافر يمثل سيدها "دانيال"، وهو يكتب وصيته على جذع شجرة الجوز المعروفة على سطح جبل "حرمون"، وهي التي تعرف منذ ٣٠ عاماً مثل كل الأمريكيين أن السيد "دانيال" كتب وصيته بأنامله على صخرة من الجرانيت قرب مصبّ "العاصي"، وإذا أرادت أن تكون متساهلة فعلى سفح جبل "الأقرع"، لذلك تبدأ محاولتها بالاحتجاج، وتكذيب المعلومة التي يعرفها الشعب الأمريكي في أثناء مقابلتها لممثل الدولة الأمريكية في "تركيا"، ومن خلال احتجاجها يعبر الراوي عن آرائه في المجتمع الأمريكي على لسانها، فها هي تقول:

---

[١] _ عودة الرجل الغريب. حسن صقر، قصص ومنشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، ١٩٩٠م، ص١٦٥.

*_هكذا وردت في الأصل والصواب: إحدى.

[٢] _ عودة الرجل الغريب. حسن صقر، ص١٦٧.

[٣] _ ينظر: الخيال السردي: الشعرية المعاصرة. كينان شلوميث ريمون، لندن، ١٩٨٣م، ص٩١_ص٩٣. (مرجع إليكتروني)

"أنتم المسؤولون يا مستر أندرسون. أنتم الذين صنعتم الأمريكي الذي يتبلغ كل شيء دونما أية مناقشة. لقد أغرقتموه بالعذاب وبالحاجة وبالأضواء التي لا تستطيع العين أن تفتح جفونها من شعور السطو والتسلط. إن الأمريكي لا يردد سوى كلمات هائل، عظيم، كل شيء حسب المطلوب، العالم كله يدور في فلكنا.

لقد كفلت العبادة النعيم للأتقياء في الماضي، أما نحن فيكفلها لنا الدولار"[1].

تُعبّر "مدام سوفروني" لممثل الدولة الأمريكية في "تركيا" عن احتجاجها على السياسات الأمريكية، مُتهمةً إياها بتشكيل صورة نمطية للإنسان الأمريكي الذي يستهلك كل شيء من دون تفكير. تصفه بأنه (يغرق بالعذاب والحاجة)، ويعيش في (أضواء لا تستطيع العين أن تفتح جفونها) نتيجة للسطو والتسلط. كما تشير إلى أن الأمريكي لا يردد سوى كلمات مثل (هائل، وعظيم، وأن العالم كله يدور في فلكنا)، مُنتقدةً بذلك الهيمنة الثقافية والاقتصادية الأمريكية.

يُمكننا عدّ "مدام سوفروني" المتكلم بالنيابة، أو الراوي بالوكالة، لأن هذه الشخصية تُعبّر عن وجهة نظر، أو أشخاص آخرين أو موقفهم، مما أضاف بُعداً جديداً للسرد، وعزّز من تعقيد البنية السردية.

يحاول المتكلم بالنيابة أن يخلق فضاء تواصلياً خاصاً يغني عن حضور الشخصية، لكنه الحضور الذي يغني الشخصية ويعززها، فقول المتكلم (أنتم المسؤولون) يختصر كثيراً من زاوية التحقق، ويجعلنا أمام الحالة السببية التي لم تكن إلا إشعاع إيضاح، لإبراز المقدمات التي أوصلت إلى النتائج.

وتقول في موقع آخر: "هل يجوز أن تعطي الأمريكي الزبدة باليد وتسلبه الحقيقة باليد الثانية؟ ثم متى كان الأمريكي يعلق وجوده على غرامات الزبدة إنه مجتمع يبحث عن الحقيقة وليس غير"[2].

في هذا القول أيضاً، تُعبّر "مدام سوفروني" عن احتجاجها نيابةً عن أولئك الذين يُعانون من السياسات الأمريكية، مُنتقدةً الهيمنة الثقافية والاقتصادية التي تُمارسها الولايات المتحدة على شعبها.

إنّ الاحتجاج الذي تبديه شخصية "مدام سوفروني" لا يمكن النظر إليه بوصفه تعبيراً ذاتيّاً خالصاً نابعاً من وعي الشخصية نفسها؛ فالنص لا يقدّم ما يكفي من المسوّغات الدرامية أو الخلفيات المعرفية التي تُبرّر امتلاكها لهذا الخطاب النقدي الواسع تجاه المجتمع والسياسات الأمريكية؛ إذ يأتي موقفها مباشرة عقب رؤيتها تمثالاً يختلف عن الرواية الرسمية، وهو حدث لا ينهض وحده لتفسير هذا الوعي التحليلي العميق. ومن هنا تتبدّى العلاقة بين الشخصية وتدخّل المؤلف: فغياب المبرّرات الداخليّة يجعل خطابها يتجاوز حدود الشخصية ليغدو امتداداً لوعي المؤلّف نفسه، الذي تمرّر الشخصية رؤيته من خلال موقعها السردي. وهذا ما يرفع عنها صفة (البراءة) بوصفها كائناً حكائياً مستقلّاً، ويضعها في موضع المتكلم بالنيابة، أي الشخصية التي تُستثمر لتجسيد موقف المؤلف وتمثيل رؤيته، لا لتمثيل خبرة شخصية مبنية داخل الحكاية. وبذلك لا يكون احتجاجها فعلاً سرديّاً ناجماً عن خطأ شاهدته، بل وظيفة خطابية مقصودة تتوسّط بين المؤلف وعالمه الحكائي.

٣_المنفعل بالحدث

[1] _الضوء الخافت. حسن صقر، قصص ومنشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، ١٩٧١م، ص٨٧.

[2] _المصدر نفسه، ص٩١.

المنفعل بالحدث شخصية تتلقى أثر الفعل من دون أن تكون مصدره، وهي نقطة تحوّل فردية مفتاحية[١]، إنها الشخصية التي يسند إليها دور التأثر بشكل فعال بمجرى الحدث المحكي؛ إذ تكون في وضعية مستقرة، ثم يحدث طارئ يؤدي إلى تغيير في وضعيتها، ويحدد مسار سلوكها، لأنه يخضعها لسطوة هيمنته على مدار الحكي، على الرغم من حدوث عوامل ضدية تعرقل سيرورة التغيير، وتمنعه من الوصول إلى نتيجته الإيجابية. ومن خلال هذا الفهم الخاص للمنفعل بالحدث، سندرس الدور الوظيفي الذي أسند إلى شخصية الطبيب الجراح " كمال نور الدين" في قصّة (الزوايا الحادة)، وذلك على وفق المحاور الآتية:

ا_ وضعية المنفعل:

يبدو "كمال نور الدين" منذ إقحامه في عالم الحكي طبيباً جراحاً ينجز واجباته بشكل اعتيادي، يقول الراوي:

"جلس الطبيب الجراح كمال نور الدين، الذي كان قد عاد لتوه من عمله وارتدى ثياب المنزل. جلس يتناول طعام العشاء على السجادة المغطاة بالمشمع الملون مع زوجته وولديه، وفي الوقت ذاته يشاهد الأخبار على شاشة التلفزيون. كان الجو دافئاً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، علماً أن الفصل شتاء، والحرارة منخفضة في الخارج، بشكل يجعل البدن يهتز وكأنه النواس. أما في الغرفة فكان كل شيء يجري بصورة يضمن الطمأنينة. وهذا ما اصطلحت عليه الأسرة بأنه السعادة"[٢].

لقد تراءت الشخصية منفعلة متأثرة بكل ما يحيط بها من مكانٍ وشخصياتٍ أخرى، وما يضطرم في أعماقها من انفعالات وردود أفعال، وهذا طبيعي، لأنّ الإنسان ابن بيئته، والأديب ناطق بمجريات تلك البيئة.

ب_ حدث التغيير:

إن الطبيب الجراح "كمال نور الدين" لم يهنأ بالوضعية المستقرة التي تجلّى فيها؛ لأن حدثاً مهماً طرأ عليه، فغيّر مسار وضعيته (الاطمئنان) إلى وضعية مناقضة أخرى (اللا اطمئنان)، وهذا الحدث هو ظهور خبر اغتياله على شاشة التلفزيون، في الوقت الذي كان يتابع فيه برنامجاً مع عائلته. يقول الراوي:

"إلا أن المنظر استبعد فجأة وساد صمت بضع ثوان ثم ظهر مذيع متجهم قليلاً، وقال وهو يتلعثم وكان يقرأ من ورقة موضوعة أمامه: جاءنا الآن ما يلي: بينما كان الطبيب كمال نور الدين المعروف في مهارته ونزاهته يهم بالانطلاق في سيارته هجم باتجاهه شخص مجهول وأطلق عليه النار فأرداه قتيلاً"[٣].

من جهة أخرى نلاحظ أن المذيع يقرأ بياناً صحفياً عن حادثة اغتيال الطبيب "كمال نور الدين"، معبراً عن حالة من الارتباك والصدمة. يظهر ذلك من خلال وصفه بأنه (يتلعثم ويقرأ من ورقة موضوعة أمامه)، مما يشير إلى تأثره الشخصي بالحدث، إنه منفعل بالحدث أيضاً؛ إذ يُعّد المذيع شخصية تتفاعل مع الحدث من دون أن تكون فاعلة فيه. إنه يتأثر بالحادثة، ويعكس ذلك في طريقة تقديمه للخبر، مما يُظهر تأثير الحدث فيه، وفي طريقة نقله للمعلومة.

هذا الدور يُبرز العلاقة بين الراوي والحدث؛ إذ يُظهر كيف يمكن أن يتأثر الراوي بالحدث، ويُؤثر في تقديمه له. إن المذيع هنا، لا يروي الحدث فقط، بل يُظهر أيضاً تأثيره الشخصي فيه، مما يُضيف بُعداً إنسانياً للسرد.

ج_ حدوث عوامل مضادة:

---

[١] _ ينظر: عالم الرواية. رولان بورونوف، ريال أونيليه، ص١٤٣.

[٢] _جبل الشوح. حسن صقر، قصص ومنشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، ١٩٩٣م، ص٣١.

[٣] _المصدر نفسه، ص٣٥.

إن حدث التغيير (ظهور خبر اغتيال الطبيب كمال نور الدين على شاشة التلفزيون في أثناء متابعته لبرنامج مع عائلته)، لم يستطع أن يأخذ مداه، ويحقق نتيجته المتوقعة على مستوى الحكاية، وذلك لوقوع عوامل مضادة حدّت من سطوة وقوعه، ومنعته من الوصول إلى نتيجة، ولكن سطوة فاعليته ظلت مهيمنة على المنفعل به، وراحت تبلور مسار سلوكه. والعوامل المضادة التي عوّقت حدث التغيير، وجعلته يخفق في تحقيق نتيجته هي أولاً أن الحدث كان حدثاً مفتعلاً لا أساس له من الصحة، يقول الراوي:

"ها أنا ذا الآن بين أيديكم بكل عافيتي، لم يتعرض لي إنسان وليس لي خصومة مع أحد"[1].

ثم يقول محاولاً إصلاح ما افتعله حدث التغيير:

"ثم ترك ولديه وشأنهما وانقضّ على جهاز الهاتف. وضعه في حضنه ثم أمسك بكتاب الدليل وطلب من زوجته أن تحضر دفتر التليفونات الصغير من جيبه. وبعد ذلك راح يستعرض جميع الأسماء التي يمكن أن يكون لها علاقة بشكل أو بآخر بالموضوع. وقد قرر بعد تفكير طويل أن من الأفضل أن يتصل مباشرة بمبنى التلفزيون"[2].

تبدو أدوار الحكي متفاعلة مع الحدث، فالنص السابق يشير إلى أن التغير لا يتحقق بشكل كامل بوساطة عوامل مضادة، بل يعوّق تطور الحكاية، فالطبيب في القصّة يظهر فجأة معلناً عن سلامته، ومحاولاً إقناع الآخرين بأنه ما زال حياً، و أنه لم يتعرض لحادث، محاولاً التعامل مع التغيير، لكن من دون جدوى؛ إذ إنه أخفق في تحقيق النتائج المتوقعة، وتحوّل النص إلى مشهد درامي متمحور حول إصلاح خطأ ما من قبل الشخصية التي تبحث عن اتصال بمبنى التلفزيون، وتفعل كثيراً من الأشياء، لكنها تخفق، وينمو صراع بسيط بين ما يُحكى وما يحدث فعلياً؛ إذ تحاول الشخصية أن تصلح الأمر مجدداً، فتتجه إلى الإعلام، وتنتقل بشكل مفاجئ إلى مشهد مليء بالحركة عبر إمساك الشخص كتاب الدليل، وطلبه من زوجته دفتر الأرقام والأسماء، فيقرر الاتصال بمبنى التلفزيون، وذكر الاسم في هذا المبنى حمل رؤيةً محتملةً، أو سيناريو خاصاً بتراجيديا حياتية، تمثل صراع الإنسان مع ذاته، وسيطرة التشتت والقوى الخارجية على المرء الذي يحاول مقاومتها بصوت داخلي.

د_ **معرفة المنفعل بوضعه:**

إن الحكي وضع المنفعل بالحدث في حالة يمكن أن نطلق عليها تسميه سيرورة الإخفاء، وذلك بجعله خاضعاً لوضعية مستقرة، هي الخضوع الدائم لهيمنة حدث التغيير، لأنه لم يخبره بسياق إخباري يعلمه به بالوضعية التي طرأت عليه، وأثرت فيه، وراحت تحدد مسار أفعاله، وهو في غمرة استمرار انفعاله الشديد بالحدث فَقَدَ معرفة نتائج الأفعال الإيجابية التي اتخذها، والتي منعت حدث التغيير من الوصول إلى نتيجته الايجابية، فظل يتصرف على وفق خضوعه المستمر لهيمنة حدث التغيير، وذلك للأسباب الآتية:

١_الشك:

[1] _ المصدر نفسه، ص٣٦.

[2] _المصدر نفسه، ص٣٧.

يمثل الشك أعمق حالات الوعي الإنساني؛ إذ يقف العقل على حافتين نقيضتين بين القبول والرفض، وبين اليقين واللايقين، مما يجعل الإنسان محملاً بقوة دافعة لكشف الحد الفاصل الذي يرضي المعطيات الوجودية المتمحورة حول نقطة الشك، وسلوك الشك ينم على شخصية قادرة على المحاكمة المنطقية مما يعطيها بعداً معرفياً وطاقة فكرية، والشك حالة نفسية يتردد فيها الذهن بين الإثبات والنفي، ويتوقف عن الحكم، وذلك بجهل ظروف الموضوع وجوانبه، أو العجز عن التحليل والبت في الموضوع[١]. يقول الراوي:

"في الطريق خيل إليه للوهلة الأولى أن جميع الناس تركوا أعمالهم وركضوا خلفه مهرولين كي يلحقوا به ويأخذوا نصيبهم من السخرية. بعضهم سار من خلفه، وبعضهم الآخر سار عن يساره أو عن يمينه. وكلهم راحوا يضربون كفاً بكف وهم ينفجرون بالضحك ويقولون:

_ ما الذي عملته بنفسك يا دكتور؟

هزّ الدكتور كمال رأسه وتابع سيره، بينما كان رأسه نهباً لأفكار شديدة العنف معظمها ينصب على تقريع نفسه التي وضعها موضع المهانة عندما جاء إلى هذه المكاتب التي نخرها السوس كي يبحث قضية مضحكة مؤداها هل هو الدكتور كمال نور الدين أم حسن الدن.

إذا كان هو ذاته وضع الحقيقة التي عاشها حوالي أربعين عاماً موضع الشك، فلا يستطيع أن ينتظر من الآخرين تأكيد هذه الحقيقة لأنها ببساطة لا تعنيهم في شيء. أكثر من ذلك فقد جعلوا منها مادة للسخرية"[٢].

والشك قد يوصل إلى الحقيقة أو إلى نقيضها، لكنه عنصر تنويري، وسلاح فعّال في تنمية القدرات التفكيرية، وخلق توازن وجودي معرفي في آنٍ معاً، ويمكن أن نقول: إن الشك مغامرة تمارسها الشخصية لتثبت وجودها.

٢_ الخوف:

هو ردّ فعل تجاه مثيرات عدة، وهو ردّ فعل غريزي للمخلوقات في لحظات الإحساس بالخطر الذي يهدد الوجود، ويتعمق ردّ الفعل هذا لدى الإنسان الذي يفكر في عواقب الأمور، ويتشوف الخطر القادم من قراءته لأحداث الواقع التي تنذر بالنوائب، وما تجرّه من ويلات وحطام، فالخوف انفعال أولي يثيره الخطر المتوقع، وتميزه تغيرات واسعة[٣]. ويمكننا تتبع مسار الخوف في القول الآتي:

"أصيب الدكتور كمال بشيء غير قليل من الارتباك وحاول الخروج من حيث أتى وكأنه لم ير شيئاً، إلا أن الباب كان قد أغلق ذاتياً، وغابت معالمه في الجدار. وقد أنقذ الرجل ذاته الموقف بسرعة"[٤].

إن الخوف حالة نفسية تصيب الشخصية، فترغمها على سلوكات معينة، مما يبرز رغبة الراوي في إبراز ارتباك الشخصية، وعدم اتزانها لحظة الإحساس باللا طمأنينة والخوف.

نجد من خلال هذا الدور الوظيفي الذي أنجزه "كمال نور الدين" أن هذه الشخصية خضعت باستمرار لهيمنة سيرورة حدث التغيير، ولم تستطع تغيير الوضعية الجديدة التي طرأت عليها، لتعود إلى حالة الاطمئنان السابقة قبل حدوث التغيير، كما نجد أنّ منطق الحكي فرض عدم الإدلاء بأية سيرورة إخبارية تتوجه إلى المنفعل بالحدث، لتنهي فاعلية سيرورة الإخفاء التي تعرض لها، ولتعلمه بوضعيته الراهنة، وتجعله واعياً للتغيير الذي ألحق به، فلذلك أمسى

---

[١] _ ينظر: المعجم الفلسفي. مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ١٩٧٩، ص٢١٢.

[٢] جبل الشوح. حسن صقر، ص٥٦.

[٣] _ ينظر: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي. د. عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، (د.ت)، (د.ط)، ص٣٠٣.

[٤] _ جبل الشوح. حسن صقر، ص٥٠.

اقتناع "كمال نور الدين" بالوضعية الجديدة التي آل إليها ذا وظيفة محددة، تتجلى في تمكين هذه الشخصية من إنجاز دورها المسند إليها، وفي اعتقادها بأن إنجازه واجب عليها، وأمر مصيري يخصّها.

٤_ فاعل الحدث

هو شخصية تنجز الفعل الأساسي؛ إذ يسند إليها دور إنجاز الحدث الذي تنهض عليه الحكاية، وبما أن الحدث في القصّة هو تضارب القوى المتعارضة، أو المتلاقية الموجودة في أثر معين، فإن الشخصيات الرئيسة تقوم بتجسيد هذه القوى، أو تكون مهمتها الخضوع لها، أو أن تبث فيها الحياة[١]، ففي قصّة(التربة) من مجموعة (جبل الشوح)، تبرز لنا شخصية "يعقوب"، بوصفه مثالاً عن الشخصية الفاعلة للحدث، وذلك وفق النقاط الآتية:

أولاً_ شروط إنجاز دور فاعل الحدث[٢]، ومنها:

١ _ كفاءة الفاعل:

إن الشخصية المسند إليها دور فاعل الحدث "يعقوب" تتميز بالكفاءة، فقد كان بدايةً شاباً متحمساً مستنير الفكر، لم يتجاوز عمره مع أي من أقرانه في الحكاية العقد الثاني، وكان مسكوناً بشهوة الحياة وشهوة الموت، ويبحث عنهما بالدرجة نفسها من القوة.

"أنت أكثرنا صدقاً يا يعقوب. وهذا ليس سراً. ومشاعرك تعرف تجد طريقها بسرعة البرق إلى صفحة وجهك. وأنا أرى بصراحة أنك شاحب الآن.

_ يا محسن القضية تتعلق بإرث تاريخي طويل. أو قل هناك خطأ تاريخي ونحن بصدد تصحيحه الآن وهذا لا يمكن أن يتم بطرفة عين. أو حتى بدون ثمن"[٣].

تبدو أدوار الحكي واضحة في المشهد القصصي السابق، وخاصة فاعل الحدث في السياق السردي الدرامي، "فيعقوب" شخصية لها دورها الرئيس في تحريك الأحداث، بفضل كفاءته، وما يمتلك من طاقة حماسية ووعي بثقل المهمة التاريخية التي يقوم بها، ونجد هنا أنّ دور فاعل الحدث المتمثل بشخصية "يعقوب" يمتلك القدرة على إنجاز كفاءة قادرة على استيعاب أبعاد القضية التاريخية، وحمولتها الواعية، والتميز العمري، بعرض مرحلة الشباب لشخصية في العقد الثاني من عمره، مفعمة بالطاقة، والحياة، والأمل، وفي الوقت ذاته نرى حمولة من الصدق، والعفوية بإبراز مشاعر واضحة، وسيمياء الوجه التي تبدو على ملامح شخصية جذابة هي شخصية "يعقوب"، الذي يدرك أن تصحيح الخطأ لم يكن أمراً سهلاً، ولن يكون، وهو بحاجه إلى كثير من الطاقة، ويجد أن كشف الحقائق المدفونة، والبحث عن إرث تاريخي طويل أمر عسير، "فيعقوب" واحد من جيل جديد، وهو يحمّل ذاته عبء التغيير، فالعلاقة بين فاعل الحدث والقوه الدافعة للتغيير، هي علاقة قادرة على تطوير الحبكة، فربما انتمى البطل إلى أسرة تكافح لاستعادة مكانة ما، أو حقّ حياتي، ولكن الثمن سيكون غالياً، وهذا يبني رؤية خاصة بأثر دور الحكاية في تطوير الشخصيات، ودور الشخصيات أيضاً في تغيير الحكاية.

٢_الوسائل المساعدة:

[١] _ ينظر: عالم الرواية. بورونوف، ص١٤٤_١٤٥.

[٢] – ينظر: المرجع نفسه، ص ١٤٤، ص١٤٥.

[٣]– جبل الشوح. حسن صقر، ص٨١.

تتعدد الوسائل التي تساعد فاعل الحدث في إنجاز دوره في القصّة بشكل فعّال، مما يسهم في تطور الحدث، وتماسك السرد، وقد لا تكون كفاءة الفاعل وحدها كافيه لذلك، ففي قصّة (جبل الشوح) نجد "يعقوب"، إضافةً إلى كونه شخصية فاعلة ومؤثرة تتميز بالكفاءة، محاطاً بثلة من الشبان الحاملين لهواجسه ذاتها، يدعمونه في مواقفه ويؤيدونه، يقول الراوي:

"تجمعنا ذات يوم من القرى البعيدة والقريبة وحتى من المدن الصغيرة وبدأنا مسيرتنا الطويلة باتجاه التربة على أساس أن ذلك حق من حقوقنا"[١].

يتضح أن الفاعل الرئيس "يعقوب" لم يكن وحده في حمل قضيته، بل كان محاطاً بدعم جماعي من شبّان يتشاركون معه الهموم ذاتها، وهذا الانخراط الجمعي يبرهن على أن تطور الحدث القصصي لا يقوم على كفاءة الفاعل الفردي فحسب، بل يحتاج إلى وسائل مساعدة تتجسّد هنا في قوة الجماعة التي تمنحه الشرعية وتدفع مسيرة السرد إلى الأمام. فنياً، يُوظِّف الراوي حركة الشبان وتجمّعهم في مشهد ديناميكي، ليحوّل الفكرة النظرية حول "الوسائل المساعدة" إلى صورة حيّة وملموسة تُبرز تماسك السرد وانبثاق الفعل من تضافر الجهود.

٣_وجود قناعة خاصة:

تُعدّ القناعة الخاصة العامل الأساسي لإنجاز الوظيفة المسندة إلى الشخصية، ولتحقيق النتائج المرجوة من إنجازها، وهذه القناعة يمكن التوقف عندها في ردّ "يعقوب" على "محسن" حين سأله:

"وماذا بقي يا يعقوب؟

_ بقيت الصلة العميقة التي تربط الناس بالمكان. وهي شكل من أشكال الإيمان"[٢].

يبرز النص فكرة ترسخ القناعة الخاصة ودورها، بوصفها شرطاً لإنجاز دور فاعل الحدث، وذلك بحلقات تتصل فيما بينها، لتحقيق نتائج تخدم الرسالة المتضمنة في الحكاية، فرد "يعقوب" على محسن عندما سأله: ماذا بقي يا يعقوب؟ كان رداً فاعلاً يوحي برواسب نفسية؛ إذ قال: الصلة العميقة التي تربط الناس بالمكان. (وهي شكل من أشكال الإيمان)، لقد أعطى هذا الوصف النابع من قناعة خاصة الشخصية طاقةً دافعيةً، وثباتاً في مواجهة التحديات، ونلاحظ بأنها مثّلت قيمة رمزية أو روحية للمكان، ومن جهة أخرى نرى صلة واضحة بين الناس والمكان، فإجابة "يعقوب" تبرز فكرة الانتماء الروحي والعاطفي.

ثانياً_ إنجاز الشخصية لوظيفة فاعل الحدث:

للحدث فاعله الذي يؤدي الوظيفة السردية وفقاً لمقتضيات الرسالة الحكائية، وهذا يجعلنا أمام إنجاز الشخصية لوظيفة فاعل الحدث، وإبراز الدور المتصل بتغيير ديناميكية القصّة وفقاً للتغيير الطارئ في رواسب فعل الشخصية، ففي قول الراوي:

"قال يعقوب وهو ينكفئ على نفسه:

_ إذا كنا نطرح الأسئلة ونطلب منها أن تنام فسيأتي وقت ننام فيه نحن وتستيقظ الأسئلة.

_ راح الناس ينظرون إلينا بشيء غير قليل من الجدية وهذا معناه أن التربة التي كانت تصادر الوعي، أصبحت مركزاً لإشعاع الأفكار الجديدة، التي راحت تغذ السير لتصبح دين المستقبل"[٣].

---

[١] _ المصدر نفسه، ص٧٧.

[٢]– جبل الشوح. حسن صقر، ص٨٧.

[٣]– المصدر نفسه، ص٨٨.

تبدو فكرة القناعة واضحة بوصفها شرطاً من شروط إنجاز فاعل الحدث دوره، وهذه الوسيلة كانت ممراً ومعبراً لتحقيق نتائج سعت إليها الشخصية عبر رد "يعقوب" على "محسن"، فالقناعة كانت عاملاً محفزاً، ومنحت الشخصية دافعاً وثباتاً في مواجهة التحديات، وفي الوقت ذاته نجد فاعلية واضحة للحدث عبر مناقشة أمور جذرية، وعلى الرغم من أن هذه الأمور لم تكن تبدو على مستوى هذه الأهمية في البدء، فإنّ ما يشير إلى صحوة جماعية ولا سيما في لحظة التعبير عن نوم مَنْ يطرح الأسئلة، وإصابتهم بالجمود، هو استيقاظ الأسئلة في هذا المجتمع المليء بالغفلة، وظهور مفارقة بين الناس الذين ينظرون إلى المبدعين بجدية، والبيئة التي كانت تقمع تلك النظرة، فأصبحت مصدراً إلهامياً، وهذا أسهم في إنتاج سردية جديدة غزت مسيرة التقدم، وحمّلت النص أسلوباً رمزياً، حمل تأثيرات الخطاب الحكائي الصوفي، أو الفلسفي، أو الفكري، عبر الرؤية الموحية؛ إذ إنّ "يعقوب" لم يكتفِ بطرح القناعة بوصفها موقفاً ذاتياً، بل جعل منها قوة محركة للوعي الجمعي، فتحوّلت الأسئلة من عبء نائم إلى طاقة يقظة تدفع الناس إلى مراجعة واقعهم. ومن هنا، انكشفت فعالية فاعل الحدث في تغيير ديناميكية السرد، حيث ارتقت التربة – التي كانت رمزاً لمصادرة الوعي – لتصبح مركز إشعاع يصدّر أفكاراً جديدة. وهكذا أُنجز الدور السردي للشخصية عبر سردية رمزية ذات بعد فلسفي وصوفي، أعادت بناء العلاقة بين المبدع وبيئته، وحوّلت النص إلى رؤية موحية، تحمل مشروعاً للتجدد والمستقبل.

ثالثاً –معرفة الشخصية بالنتائج:

تبدو الشخصية ذات بصيرة نافذة تدرك الأبعاد المستقبلية إدراكاً يتراءى بعلمها بالنتائج كما نجد في الآتي:

"ومن هنا أخذتنا النشوة وصار بإمكاننا أن نتوهم أننا قادرون على تغيير العالم بحسب إرادتنا. والسبب في ذلك أننا كنا قد نجحنا في تذليل عدد كبير من المنغصات"[١].

يشكل علم الشخصية وسيلة من الوسائل المساعدة في فهم الذات أو التحفيز، وهذا يبرز نشوة ناجمة من تغلب هذه الشخصية على العقبات، ويرافق هذا الأمر شعورٌ واهمٌ بالقدرة على تغيير العالم كله وفقاً لرغبات الشخصية، على وفق النتائج التالية:

1_ التمكين الذاتي المتمثّل بنجاح الإنسان في تجاوز الصعوبات؛ إذ يشعر بقوة ذاتية، قد تصل إلى الوهم بالسيطرة على كل شيء، وإنكار الواقع، أو التحول إلى الغرور الذي تعاني منه الشخصية.

2_ قدرة الشخصية على فرض كينونة، تتسم بتعزيز التعلم الجماعي بتعزيز الكفاءة الذاتية، وتأثيرها في الآخر، هذه الكفاءة التي ترافقها الثقة بالقدرة على التأثير في المحيط.

٣_المعرفة بوصفها مجالاً للتحيز التفاؤلي؛ إذ يبالغ الإنسان في تقدير قدرته على التحكم في الأحداث، ولا سيما بعد النجاحات المتكررة التي تحققها هذه الشخصية.

٤_ تعزيز الفلسفة الوجودية، والرؤية الذاتية باستحضار تيارات وجودية، يشكل عتبة للشخصية في تجاوز العقبات، والتحذير من الخلط بين الحرية الذاتية، والسيطرة الواهمة على العالم بشكل مطلق.

[١]_ المصدر نفسه، ص٨٩.

رابعاً_ الإخفاق إن وجد وأسبابه:

قد يخفق فاعل الحدث في مواصلة إنجاز وظيفته التي أسندت إليه بسبب وجود صراع ما، أو قوه ضدية مؤثرة معارضة، وقد ينتصر في نهاية الصراع، يقول "يعقوب":

"أنا أعتقد جازماً يا محسن أن التربة سوف تنتقم لنفسها ذات يوم.

قلت في محاولة للتقليل من أهمية الموضوع:

_ ماذا جرى يا يعقوب؟ هل تعتقد حقيقة بعد كل الذي عملناه أن هذه الحجارة لها تأثير.

قال:

_ أنا لا أعتقد بالحجارة، ولكنك لا تستطيع أن تمنعني من أن أعتقد بأن هنالك شيئاً ما ليس باستطاعتنا أن نقبض عليه"[١].

نجد حواراً مبطناً بصراع بين منطق مادي، وحدس غيبي، وهذا الصراع هو وسط بين عقلانية وما ورائية، فيعقوب هو صوت العجز، والاعتقاد بتلك القوى الخفية غير الملموسة، لكن الراوي حاول تبني موقف عقلاني متشكك، ففي قوله:(هل تعتقد حقاً أن الحجارة لها تأثير)، تبرز استجابة واعية للشخصية، ونجد انتقام الأرض في أثر تركيب (التربة ستنتقم)، هذا الأثر يوحي بالقلق، وبإحساس الشخصية بأثر الوعي المستتر، ويبرز أيضاً إشارة إلى وسيلة من وسائل الإخفاق المتخوف منه، بالحصول على مستوى من الإخفاق، ولأسباب منطقية استخدم القاصّ الحجارة، والتربة، بوصفهما رمزين لقوى طبيعية صامتة، لكنه صمت موحٍ فاعل يعطي أبعاداً تحذيرية، تخلق توتراً درامياً، ففي جملة "يعقوب" إشارات إلى قلق وجودي، فهي تستبطن البوح بضعف الإنسان أمام المجهول.

_ نتائج البحث

يتضح من خلال ما تقدّم أنّ بنية الشخصية في قصص "حسن صقر" لا يمكن النظر إليها بوصفها أداة فنية محضة أو وصفاً خارجياً عارضاً، بل هي ركيزة أساسية يتجلى عبرها التفاعل بين الفكر والفن في مشروعه القصصي. فالقاصّ يبني شخصياته في ضوء رؤية مركبة، تمزج بين التجربة الذاتية والخبرة الحياتية من جهة، والخيال الفني والابتكار السردي من جهة أخرى، وهو ما يمنح الشخصية عمقاً دلالياً يتجاوز حدود الحكاية المباشرة.

لقد أثبت التحليل أن الشخصية عند "حسن صقر" تتأسس على منظومة بنائية متكاملة؛ إذ تصبح العناصر كلها شبكة متداخلة تفضي إلى الكشف عن أبعادها النفسية، والاجتماعية، والفكرية. وهذا يعني أن الشخصية عنده تتحول إلى مفتاح لفهم النص، وإدراك ما يحمله من رؤى ومواقف تجاه الإنسان والوجود.

وعلى الصعيد الفكري، تكشف هذه البنية عن وعي القاصّ بمشكلات مجتمعه وأسئلته الكبرى؛ إذ تحمل كل شخصية أصداء قضايا الغربة، والاغتراب، والبحث عن المعنى، ومفارقات العلاقة بين الفرد والجماعة. وعلى الصعيد الفني، نلحظ أن القاصّ يوّظف وسائل السرد المختلفة (الوصف، الحوار، الأحداث، الزمكان) في تفاعل متماسك يضمن تطور الشخصية ويجعلها أكثر قدرة على شدّ القارئ وإشراكه في عملية التأويل.

إنّ شخصية "حسن صقر" ليست كياناً معزولاً عن بنية النص الكلية؛ بل هي جزء من نسق سردي يوازن بين العمق الدلالي والإحكام الفني، وبذلك تتحول إلى جسر يربط بين الرؤية الفكرية للقاصّ وإبداعه الفني. ومن هنا، يمكن

[١] _جبل الشوح، حسن صقر، ص٩١.

القول إنّ بنية الشخصية لديه تمثل ذروة التفاعل بين الفكر والفن، وتُشكّل علامة فارقة تمنح نصوصه خصوصيتها وتؤكد إسهامه في تطوير القصّة العربية المعاصرة.

المصادر والمراجع:

١-*جبل الشوح*. حسن صقر، قصص منشورات وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ١٩٩٣م.

٢- *الخيال السردي*: الشعرية المعاصرة. كينان شلوميث ريمون، لندن، ١٩٨٣. (مرجع إليكتروني)

٣_ *الدلالة البنيوية (محاولة في المنهج)*. أ. ج. غريماس،

٤_ *الرواية العربية (المتخيل وبنيته الفنية)*. دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م.

٥-*الضوء الخافت*. حسن صقر، قصص منشورات وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ١٩٧١م.

٦-*عالم الرواية*، رولان بورنوف ورويال أونيليه، تر: نهاد التكرلي، مرا: فؤاد التكرلي، و د. محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩١م.

٧-*عودة الرجل الغريب*. حسن صقر. قصص منشورات وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ١٩٩٠م.

٨_ *قاموس السرديات*. جيرالد برنس، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، مصر، ط١، ٢٠٠٣م.

٩-*القاموس المحيط*. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، تحقيق: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ج١، ط٨، ٢٠٠٥م.

١٠_ *لسان العرب*. الإمام العلامة ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١١- محيط *المحيط*. بطرس البستاني. مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٥٨م.

١٢-*مستعمرة الشتاء*. حسن صقر. قصص، دار فواصل للطباعة والنشر، اللاذقية، سوريا، ط١، ٢٠٢٢م.

١٣_معجم *السرديات*. مجموعة مؤلفين، إشراف محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، مصر، ط١، ٢٠١٠م.

١٤- *المعجم الفلسفي*، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ١٩٧٩م.

١٥-*المعجم الوسيط*. إبراهيم أنيس. مطبعة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٧٢م.

١٦-*موسوعة علم النفس والتحليل النفسي*. د. عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، (د. ت)، (د.ط).

١٧-*الهوية والسرد*. بول ريكور. تر: حاتم الورفلي، دار التنوير، تونس، ط١، ٢٠٠٩م.